بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [الحج:24]

وقال جل جلاله: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:125]

عن جرموز الهجيمي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني! قال: ((**أوصيكَ أن لا تكونَ لعَّاناً**)) [أحمد، والطبراني، والبخاري في التاريخ]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**ليس المؤمن بطعَّان ولا لعَّان، ولا فاحش ولا بذيء**)) [أخرجه الترمذي]

هذه هي الخطبة السادسة في سلسلة "قرأت في كتاب"، أختار لكم فيها فوائد منثورة في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

(الكلام الرصين)

والرصين في لسان العرب المحكم الثابت.

قرأت مقالاً بعنوان "شتائم حضارية" أحببت أن أُطلِعَكم على بعض ما جاء فيه.

يقول الكاتب: تعوّد بعض الناس على ضراوة النفس وحِدَّة الطبع بقعقعة الألفاظ التي لا تبدو قوّتها في الحجة والبرهان، بل في الشتم والسبّ.

واللعَّانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة، كما في الحديث الصحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لا يكون اللعَّانون شهداءَ ولا شفَعَاءَ يوم القيامة**)). [أخرجه مسلم].

ومن أحبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ورجا أن يُحشَر معه فعليه الاقتداءُ بهديه –صلى الله عليه وسلم– وحفظُ لسانه إلا من خير، في عسره ويسره ورضاه وغضبه.

ولذا كان من توجيهه –صلى الله عليه وسلم– لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول خيرا أو يصمت؛ ((**من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلْيَقُل خيرا أو لِيَصْمُتْ**)). [أخرجه البخاري ومسلم]، فرحم الله امرءاً قال خيراً فغَنِم، أو سَكَتَ فسَلِمَ.

وليس ثمة حرجٌ أن يختلف الناس أو يتنازعوا خاصة في مثل هذه الأحداث الجِسَام، والمصائب العظام، التي تعيش هذه البلدة وطأتها، لكن آلية معالجة الاختلاف هي بالحجة الناصعة، والقول الرصين، والبيان الإنساني المعبِّر عن رجاحة العقل ونبل الهدف.

و تتعالى الأصوات وتختلط.. فيها الصوت الرحيم المشفق، وفيها الصوت الهادئ، وفيها الصوت الغاضب المزمجر، وفيها الصوت الذي يوزع اللعنات يمنة ويسرة ويستثني نفسه، وكيف يلعن نفسه وهو المنقِذ، والمصلح، والأمين، والغيور، والقائم على أمر الناس، حين نكل الآخرون ونكصوا وتراجعوا وضعفوا، واشتروا الدنيا وباعوا الآخرة!!

قال تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:11].

وجَدَّ في هذا العصر (الشتم الإلكتروني) عبر مواقع الإنترنت، شتيمةٌ مجانيةٌ بغير حساب، باسم صريح مكشوف، وتلك –لعمر الله– هي المجاهرة بالخطيئة, ((**كلُّ أمتي معافى**

إلا المجاهرين)). [رواه البخاري ومسلم]. أو شتيمةٌ مقنعةٌ تختفي وراء اسم أو لقب وتتحلل من كل القيود والتبعات..

ولأن القول المعتدل الموزون قد لا يستفزّ ولا يدعو للتوقف، فصاحب الشتيمة الإلكترونية ربما أغراه وقوف الناس عنده بين مؤيد ومعارض، وخُيِّل له أنه يصنع التاريخ!

وثمة نمطٌ آخر جديد هو (الشتم الفضائي) من خلال اتصالات هاتفية مجهولةٍ أو معلومةٍ تتبجح برديء القول وساقطه، وتَعُدّ هذا جرأة ووطنية وشجاعة، إنها الجرأة على تقحم الهَلَكات.

وهذه المواقف لا تعبر عن مبدأ، بل هي دليل على غياب المبادئ والقيم، وعلى سيطرةِ الوحشية والغضب الأعمى والانتقام الشخصي، وهيهات أن تكون نصرة لحقٍّ.

أيها الأخوة :

إن الذين آلوا على أنفسهم أن يسيروا في الطريق المستقيم محتاجون إذا ما سمعوا الخنا إلى أمور ستة:

1. الإعراض عن سفاسف القول، فهو مبدأ قرآني ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص:55]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:3].

وقد كان من صفة النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تزيده شدَّة الجهل عليه إلا حِلماً.

وما أحسن الاقتداء بمريم عليها السلام ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم:26].

2. المدافعة بالحجج الواضحات: قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:83].

ولعل سائلا يسأل عن تفسير قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾ [149]. وظاهر الآية يوحي بجواز تلفُّظ المظلوم بالسوء؟

فنقول: قال القرطبي في تفسير هذه الآية:

(المعنى لا يحبُّ الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا من ظُلِم فلا يُكرَه له الجهر به. ثم اختلفوا في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح من ذلك؛

فقال الحسن: هو الرجل يَظلم الرجلَ فلا يدعُ عليه، ولكن ليقل: اللهم أعنّي عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حُلْ بينه وبين ما يريد من ظلمي. فهذا دعاء في المدافعة وهي أقلُّ منازل السوء.

وقال ابن عباس وغيره : المباح لمن ظُلِم أن يدعو على من ظلمه. وأن ينتصر من ظالمه -ولكن مع اقتصاد- ؛ فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا؛ وإن كان الظالم مجاهراً بالظلم دُعِي عليه جهراً، وقد روى أبو داود عن عائشة -رضي الله عنها- قال: سُرِقَ لها شيءٌ فجعلت تدعو عليه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لا تُسبِّخي عنه**))، أي: لا تخفّفي عنه العقوبة بدعائك عليه.

3. الحفاظ على النفس لئلا تضطرب، فأمامك مشوار الحياة الطويل. قال سبحانه: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:127].

4. لا تشتغل بالردود على السباب والشتم؛ فهي مضيعة، دعها لغيرك، فليس كل ما تقوله أنت صحيحاً، ولا كل ما يقوله الآخرون خطأ، لكن دع عنك المهاترات والتقاذف.. واصرف جهدك لما هو أجدى وأنقى وأبقى وأتقى؟

5. لا يجرمنّك الشنآن والاستخفاف أن تردَّ حقاً، أو تقول باطلاً، أو تصرَّ على خطأ، فاجعل المراجعة والتصحيح دأبك ولو بعد زمن؛ فقد تجد من يُبصّرك بمعنى غاب عنك أو يعينك على تحقيق الاعتدال والتوازن والتوسّط في نظرتك للأمور..

6. تذكر أن لك ذنوباً أمثال الجبال؛ من نظرة حرام أو كلمة أو غفلة أو ما شابه، وأن الله تعالى بلطفه يختار لك الأسهل والأيسر من أذى الدنيا؛ ليكون كفارة لخطيئة أو رِفعة لدرجة، أو بلوغاً لمنزلة ما كنتَ تبلغها بعملك الصالح، فقيّض الله لك من هُم في الظاهر مناوئون وفي الحقيقة مساعدون، ومنحَك الأجر والثواب..

وأكثِر من الاستغفار؛ فمَن لَزِم الاستغفار جعل الله له مِن كلِّ همٍّ فَرَجاً ومن كلِّ ضيق مخرجاً، ورَزَقَه من حيث لا يحتسب، والله مع الصابرين.

وأخيراً..

فإن الشيء اللافت أنه مع تفاقم الأزمات ترتفع وتيرة الغضب، ويحتدم لدى أقوام لا يجدون وسيلة إلا الشتم.. ومن قبل قال الأعرابي: أوسعتهم شتماً وأودوا بالإبل..، فتراهم يشتمون الخصم، فإذا زاد غضبهم شتموا الصديق والقريب، وربما وصلت شتائمهم إلى أزواجهم وأرحامهم، ويعتبرون الشتم جزءاً من التفاعل مع الأزمة، ولا يسمعون للناصحين، وكأن من ينهانا عن الشتيمة ينهانا عن نصرة المظلومين!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها الأخوة :

هذا شيء مما قرأتُ في الكلام الرصين.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

و الحمد لله رب العالمين